الشباب والنساء واللهو

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 29 مايو 2018

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

الشباب والمراهقة مرحلة مهمة من حياة الإنسان وخاصة في مكة المكرمة، لذلك وجدنا أنه من المهم الاطلاع على هذه المرحلة من حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

وفي كل تلك السنوات كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يخالط الشباب والرجال، وكان من الطبيعي أن يتفاخر كل هؤلاء أمامه بمغامراتهم النسائية وزياراتهم إلى الخيام ذات الرايات الحمراء، فلم يكن المجتمع بمن فيه يُعد ذلك من الخطايا التي يُعيّر بها المرء وخاصة الشباب غير المتزوجين، بل كانت فخرًا يتفاخر بها الشباب والرجال بين بعضهم البعض.

فكانوا يتسامرون ويشربون الخمر ويعاشرون النساء والبغي ويفعلون كل ما يحلوا لهم، من غير حسيب أو رقيب، ولكن تلك النفس النقية التي كان يحملها محمد صلى اللّه عليه وسلم ترفعت عن كل ذلك وأبت أن تخوض في الوحل والمستنقعات الآسنة، كانت نفسه طيبة طاهرة حتى قبل بعثته، فلم ينزلق إلى ما انزلق إليه شباب المجتمع من عهر وفجور، وإنما ترفع عن ذلك.

ولم تكن نفس رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خاملة ليس فيها من الرغبات من شيء، فلا نعتقد أن نفسه كانت بعيدة كل البُعد عن الرغبات الرجولية، فتروى كتب السيرة النبوية فعن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَهُ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرِسَالَتِهِ، فَإِنِّي قَدْ قُلْتُ لَيْلَا لِغُلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يَرْعَى مَعِي بِأَعْلَى مَكَّةَ؛ لَوْ أَنَّكَ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أُدْخِلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ، فَقَالَ: افْعَلْ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ، سَمِعْتُ عَزْفًا بِغَرَابِيلَ وَمَزَامِيرَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ بِنْتَ فُلَانٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي، فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلا مَسُّ الشَّمْسِ، فَجِئْتُ صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا صَنَعْتُ شَيْئًا، ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، ثُمَّ بِتُّ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: افْعَلْ، فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ مَكَّةَ، وَسَمِعْتُ مِثْلَ الَّذِي سَمِعْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلا حَرُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرِسَالَتِهِ. رواه البيهقي وابن حبان وغيرهما.

لم تكن نفسه خاملة وإنما تتوق إلى ما يتوق إليه الرجال، وإنما هو الترفع والطهارة والرغبة في السمو الروحي والجسدي، بالإضافة

إلى حفظ اللّه سبحانه وتعالى له، حتى يصبح ناضجًا ليحمل أعباء النبوية.

يقول محمد الصوياني "إن أناسًا تعلوهم الغرائز، وتلوي أعناقهم الشهوات، فيجتهدون في الحصول عليها دون أن يوقفهم نداء ناصح أو زجر زاجر، يبذلون الأموال كالخطوات حتى يظفروا بسويعات حمراء وخيمة العواقب، فهل سيوقفهم صوت دف أو مزمار، لكن محمداً أوقفته حفلة عرس وهدهدته حتى نام لأنه مهذب أتعبته هموم العمل والتزام الوظيفة ..."

ولنا حديث آخر،،